



{قَالَاتُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ}.

إنَّ المستشار الذي ترتعد فرائضه في حضرة (القائد الصَّرورة) عندما يهْمُّ بالإدلاء برأيه، لا تنتظر منه رأياً حقيقياً ابداً، ولا تثق بحسن ما يعرضه، فمثلُ هذا المستشار لا يفكّر بالتّعارض مع توجهات الزّعيم ابداً.

إنّه عادةً يقرأ أفكاره من نظراته وحركاته ثمّ يعيدها له بصيغ وقوالب الوانه زاهية واشكالها جميلة!.

إنّه يستنسخ أفكاره ويُعيدها عليه!.

ولذلك أوصى رسول الله (ص) أمير المؤمنين (ع) من بين مَن لا يستشيرهم بقوله: {يا عليّ لا تُشاور

جباناً فانّه يُضيق عليك المخرج}.

كما أوصى أمير المؤمنين (ع) مالكاً بالشّيء زَفْسَهُ بقوله في عهده اليه عندما وّلاه مصر {وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ... جَبَاناً يَضَعُ فُكَّ عَنْ الْأُمُورِ}.

ينبغي أن يكون المستشارُ شجاعاً ليقولَ رأيَهُ بشجاعةٍ وحرّيّةٍ بعيداً عن أيّ نوعٍ من انواع الرّهبة والخوف والتردد، خاصّةً عندما يحتاجُ الموقفُ الى استشارةٍ جريئةٍ فيها شيءٌ من المغامرة، سواء لمعالجة الموقف ذاته أو للتعارض مع توجهات المُستشير..

ينبغي ان يكونَ المستشارُ كهدهدٍ سُليمان لا يخاف اذا سُئل، حتى اذا كانَ جوابه صادمًا او شاذّا طبقاً لحسابات الواقع، ولا يَكُونُ كذلك إلا اذا كان واثقاً من خبره او رأيَه، فالشاكُّ في دقّة ما ينقله يُتردّد بطبعه في الإدلاء به، ولما كان الهُدهد واثقاً من معلومته لذلك نقلها بكلّ أمانةٍ وشجاعةٍ، قائلاً {أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سِدَائٍ بِنَدَائٍ يَقْرِين}.

وما كان الهُدهد ليجرؤ على ذلك لو لم يكن متيقّناً من أنّ نبيّ الله سُليمان (ع) يُحبُّ الصّراحة والوضوح وشجاعة المستشار، فلا و كان زّوع الزّعماء الذين يُحبُّون المتملّقين لأخفى عنه الهدهد النّبأ مهما كان خطيراً.

إنّما من جانب المُستشير فالواجبُ عليه أن لا يستعجل إصدار الحكم على ما يسمعه من المستشار فيشكّك بالمعلومة قبل التّثبت ويردّ الرّأي قبل المناقشة، مهما كان الخبرُ صادمًا والرّأي غريباً على مسامعه! فان ذلك يخلق جواً من الرّهبة والخوف يُساهم في قمع حريّة التّفكير والتّعبير، ولا يساعد في تكريسهما عند المستشارين، ففي قصّة الهُدهد فعلى الرّغم من أنّ نبيّ الله سليمان (ع) آتاه من الملك ما لم باتِ أحداً من العالمين وسخّر له كلّ ما يسهّل عليه الحصول على المعلومة والرّأي وغير ذلك من طيرٍ وريحٍ وجنٍّ وكلّ شيء، فضلاً عن الوحي كونه نبيّ من أنبياء، مع كلّ هذا الا انّه استوعب قول الهُدهد ولم يثّر بوجهه فيكذب به أو يعذب به مثلاً أو يردّه أو يعاقبه لقوّة عباراته، بل ردّ عليه بالقول {سَدَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}.

حتّى لغة التّشكيك بين المستشار والمستشير ستتلاشى شيئاً فشيئاً مع التّجربة، او هكذا يجب ان يكون، فاذا ثبتُ للثّاني قوّة رأي الأوّل ودقّة اخباره مع مرور الوقت، ونجح الأوّل في إثبات

قدرةٍ فائقةٍ على حسن استشاراته بالخبرة المتراكمة.

إنَّ التَّشجيع والحثَّ الذي يمارسهُ المُستَشير مع المستشار يساعد كثيراً على خلق الأجواء المناسبة لتكريس ثقافة الشُّورى، ولعلَّ في قصَّة ملكة سبأ والعلاقة الإيجابية المتبادلة بينها وبين [المَلَأ] وحثُّها لهم على التَّشاور قبل القطع بالقرار، هو الذي نجَّاه مملكتها من حربٍ مدمِّرة مثلاً فبقولها لهم {مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ} حثَّ المَلَأ على أن يفكِّروا بعقلانيةٍ أكبر ويُشيروا عليها برأيٍ معتدل ما هدَّأ من روعها ولذلك لم تنهوَ في قرارها أو تنطرف في رأيها، بل تعاملت مع كتابِ نبيِّ الله ﷺ سليمان (ع) بكلِّ حكمةٍ وحصافةٍ حمت فيها مملكتها ومملكتها.

لقد قدَّم المَلَأ في هذه القصَّة نموذجاً جيداً للمستشار المؤتمن الذي يأخذ بنظر الاعتبار الواقع ويذكِّر المسؤول بنقاط القوَّة التي يمتلكها ولكنه في نفس الوقت لا تعمي قوَّته بصيرته، فما تقول الحكمة، فإنَّ القوَّة بلا عقلٍ أو حكمة تهوِّر، فليست القوَّة هي التي تنتصر، وإنَّما العقل والحكمة المدعومة بالقوَّة، ولقد وردت هذه الحقيقة في قوله تعالى: {فَلَا مَسَّاءَ فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا فَلَايِلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّاءَ جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّسْلِقُونَ اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

يَقُولُ القرآن الكريم متحدِّثاً عن تفاصيل قصَّة المَلَأ مع الملكة: {قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأَسْوَ شَدِيدِ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ} قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ* وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَتَاطَرَعُوا بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}.

إنَّ قولاً حقيقياً ورأياً واقعياً قدَّمه المَلَأ للملكة نزع فتيل الحرب ولغة التهوُّر والاستعلاء والاعتداد بالنفْس على حساب تحقيق الصَّالح العام، ولو كان أحدهم قد صعَّد الموقف ولو بحرفٍ لانتهى قرار الملكة الى حربٍ تدمِّر المملكة ومصالح شعبها كما تخيَّلتها في ذهنها {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً

ومن هنا تتبيّن أهمّية المستشار في دقّة ما يستحضره من رأيٍ ليس على مستوى الفكرة فقط وإنّما حتّى على مستوى الأسلوب والطريقة التي يُدلي بها رأيه، فكلّمةٌ حكيمةٌ من مُستشارٍ تُطفئ نارَ حربٍ عبثيّةٍ، وكلّمةٌ حمقاءٍ مِنْهُ تُصبُّ الزّيتَ على نارٍ تكادُ ان تشتعل.

وإذا تفقّدنا حالنا اليوم وما يحيطُ به من حروبٍ عبثيّةٍ لتيقّنا انّ الحمقى هُمُ الذين يُشيرون على الزّعماء الذين ليس منهم {رَجُلٌ رَشِيدٌ}!.

وإذا قارنّا بين ملأ الملكة وبين ما عندنا اليوم من مستشارين يتحلّقون حول الزّعماء لتيقّنا بأننا لا نمتلك مستشارين وإنّما هم عبارةٌ عن حفنةٍ من الابواق همّها إثارة الفتن وشحن الأجواء بكلّ ما يُثير النّعرات الطائفية والعنصريّة والمناطقية والحزبية الضيقة، وكلّ ما يقود الى الفساد وينتهي الى الفشل!.

إنّهم من أهمّ عوامل الإثارات السلبية التي تملأ الأجواء اليوم، ولذلك ينبغي فضحهم لإبعادهم عن المسؤول، أيّ مسؤول، وإذا شعرنا بأنّ الأخير مستأنس لوجودهم الى جنبه فيجب فضحه هو الآخر، فإلى متى يُتاجر الزّعماء بدماءٍ شبابنا؟ الى متى يطلّون يعتاشون على الأثارات السلبية والازمات المتوالدة التي دمّرت البلاد وعرضت العباد الى كلّ هذه الفتن العظيمة التي تُنذرُ بمخاطرٍ أكبر فأَكبر؟.

إنّ متابعة القنوات الفضائية الإعلامية لساعاتٍ معدودةٍ سيشعر المرء بالشحن الطائفي والعنصري والحزبي الضيق الذي يدفع باتجاهه المسؤولون والحلقات الضيقة التي تلتفّ حولهم، سواءً على صعيد الفكرة او على صعيد الأسلوب في الطرح، المأزوم والمتشنّج والملغوم.

...ويظلّ المواطن المسكين يدفع ثمن مبارياتهم الإعلامية دماءً ودموعاً وأيتاماً وأرامل وئكالاً ودماراً!.